المقابر في العراق القديم

م.م. منتهى نعمة عودة حسين
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

الملخص:

يتناول البحث أهمية رمزية الموت في حضارة العراق القديم باعتبار الموت عنصراً من عناصر الوجود والعدم وفي ظل تلك العقيدة كان الاهتمام بالميت وحفظ جسد المتوفى من العوامل الداخلية والخارجية للجثة طقسا جنائزيا مهما فكان مهمتهم ضمن هذه الطقوس هو نقل الميت إلى العالم السفلي أو أرض اللا رجعة ومنطلقا من هذه العقيدة فكان لابد من تجهيز مراسم وطقوس الدفن ووضع الجثمان في القبر ووضع مواد وأدوات تخص المتوفى وحسب موضعه في تلك الفترة التي عاشها وتكتمل هذه المرحلة بالمراسم والطقوس الجنائزية التي تمثل سبب الموت واثر وقعه على الإحياء ومن هذا المشهد يصور الجوانب الأساسية لعقائد ما بعد الموت لسكان العراق القديم .

المقدمة:

لقد تميز عصر فجر السلالات بنمو العمران، واتساع تجمعاته ممثلا بازدياد المدن وازدهار الزراعة، واتساع التجارة الخارجية، وبرزت حضارة اتسمت ببناء مجتمع بشري ذي عقيدة دينية لها طقوسها ومراسمها، ومن هنا كان بناء القبور جزء مهماً من حياة سكان العراق القديم، ومن هذه العقيدة التي بنى بها بنو البشر من سكان العراق القدامى فكان لابد إيجاد طريقة لهذا الأمر القدري هو بناء المقابر للموتى ونقلهم الى العالم السفلي ومع مرور الزمن وتطور حاجات الإنسان وبناء الحضارة في العراق القديم واستخدام مواد أدوات العمران استخدمت أنواعاً وطرقاً بناء المقابر لدفن موتاهم حفاظا عليهم وتلبية لطقوس شعائرهم وذلك لإرضاء موتاهم في العالم الأخر مما جعل خصوصية لكل مرحلة من مراحل حضارة العراق القديم في طرق دفن الأموات.

المبحث الأول/ الموت في المراسم والشعائر الجنائزية في العراق القديم:

إذا كان الموت ولا يزال سرا يحير الإنسان منذ أقدم العصور فكيف لا يبقى ما وراء الموت سرًا وأيُّ سرٍّ، لذلك نرى الإنسان سعى إلى حل هذا اللغز ، لا بل نجده يبحث له عن معان ، وهذه المعاني تتفاوت حسب قوة المفاهيم والعادات والتقاليد وعمقها في هذه الحضارة أو تلك ، فالطقوس الجنائزية التي مع التفاوت الكبير في مدلولاتها تشير إلى الاحترام الذي غالبا ما يحاط به الموتى لدى الشعوب ، فكانت القبور ، وكانت النصب ، وكانت المراثي. كان الاعتقاد السائد لدى سكان وادي الرافدين القدماء بان الموت امر حتمي ومن نصيب الانسان غير انه لا يعني النهاية المطلقة أو الفناء التام بل ان الموت في تصورهم انقسام الكائن الحي وانفصال الروح عن الجسد وانتقال الروح الى طور جديد من الوجود بعد وضع الجسد في القبر وذهاب الروح الى عالم الأرواح [1] .

ان أول عملية دفن للأموات من بني البشر قد مورست في بلاد وادي الرافدين في زمن قديم جداً يعود بتاريخه الى العصر الحجري الوسيط الذي شهد مرحلة انتقال مهمة من العصر الحجري القديم الى العصر الحجري الحديث وامتلك طلائع الفكر العقائدي والمشاعر الإنسانية المتمثلة باحترام الأموات والاهتمام بطقوس الدفن من خلال ما تركه على جدران كهوفه التي يسكن فيها فضلاً عن بقايا الآلات والأدوات التي كانت بداية الارتقاء الى سلم الحضارة [٢] ، ومما هو جدير بالذكر هنا إن إهمال الإحياء لدفن الميت أو انه لم يدفن أصلا لأي سبب كان أو لم تقم الشعائر الجنائزية على روحه فإن روحه حسب الاعتقاد القديم لا تستقر في عالم الأرواح وتهيم حول مكانه على الأرض وتخرج بهيئة شبح مخيف يفزع الإحياء ويلحق الضرر والأذى [٣] . ومن أهم ما عثر عليه خلال التنقيبات هو المقبرة الجماعية التي تم الكشف عنها في موقع مدينة أور من قبل المنقب (ليونارد وولي) في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن الماضي وقد أرجع تاريخ هذه المقبرة إلى عصر فجر السلالات الثالث وقد سميت بالمقبرة الملكية نظراً لكون الأشخاص المدفونين فيها لهم صفة الملوكية وقد أمكن تعيين أسماء بعضهم منها القبر العائد إلى (مس- كلام- دك) و(آ- كلام- دك) وكان مجموع ما خصص بكونها قبوراً ملكية لا يقل عن ستة عشر قبراً [٤] . أما عن الآراء التي طرحت من أجل تفسير ما وجد في القبور الملكية والغرض أو الغاية من الشعائر التي تم بموجبها دفن تلك الأعداد الكبيرة من الحاشية والأتباع، ومن تلك الآراء رأي المنقب الذي أكتشف المقبرة وهو السير ليونارد وولي ويتلخص هذا الرأي في أن ما عثر عليه في المقبرة الملكية في أور ما هو إلا نموذج للتضحية بأتباع وحاشية الملك ودفنهم مع الملك حين وفاته، أما عن الطريقة التي تتم بها هذه التضحية فيمكن إيجازها بأنه بعد وفاة الملك وإنزال جثته إلى قبره ينزل معه أتباعه وحاشيته ويستقرون على الأرض أو على رفوف موضوعة على الجدران وبعد أن يقتلوا الحيوانات الموجودة معهم في القبر يبدأون بتناول السم من قدر ممتلئ به كالقدر الذي تم العثور عليه في القبر وفي هذه الأثناء يكون الموسيقيون يعزفون ومن المحتمل أن تكون هناك ترانيم جنائزية خاصة يرددها المضحى بهم، وحين يسري أثر السم يضطجعون كل في مكانه ثم يدخل احد الأشخاص ويرتب الجثث ومحتوياتها لتبدأ عملية ردم الحفرة بمراحل متعددة وضمن احتفال ديني خاص بالمناسبة، وأرجع العالم (وولي) سبب دفن أتباع الملك معه إلى اعتبار أن الملك إله وأنه حين يموت ينبغي أن يدفن معه أتباعه لينتقلوا معه إلى العالم الآخر حيث يواصل حياته الأخرى فيه[٥] . وأن التضحية البشرية في هذه المقبرة هي جزء من الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس الذي كان يقام سنوياً ويلعب فيه الملك دور الإله(تموز) في حين تقوم الكاهنة العليا بدور الإلهة (إنانا) ثم يسمان مع أتباعهما ويدفنان في احتفال ديني وأن جسد الملك كان

يخرج من سقف الضريح بينما تبقى القرينة في ذلك الزواج في قبرها، والواقع أن هذا الافتراض أو التفسير للمقبرة ضعيف ويفتقر إلى أدلة أكثر وضوحاً[٦].

تم اكتشاف أبنية على شكل مقبرة في منطقة العربجية تعود لفترة عصر العبيد تحتوي على اربعين قبرا وعثر على ادوات فخارية كاملة [٧] ،وقد اظهرت التنقيبات ما يشير الى تقدم في المعتقدات الدينية اذ وجدت بعض ادوات مدفونة مع جثث الموتى مما يعطي مؤشراً على وجود بعض المراسم والشعائر الخاصة بالموت والحياة الاخرى [٨] . وقد كشف التنقيب عن مقابر (اور) ان عددا من الافراد من حاشية الملك المتوفى كانوا يقتلون ويدفنون مع سيدهم في نفس اليوم لخدمته في الحياة الاخرى ويتجلى ذلك من الكشف على مقبرة الملك (مسن – د ك) ومقبرة زوجته (شوب –أد) حيث تكدستا بأفخر الحلى والادوات المصنوعة من الذهب كما امتلأتا بجثث من افراد الحاشية وكانت موضوعة بالقرب من جثة الملك او الملكة حسب أهمية وظيفة كل منهم في حياته ولكن هذه العادة لم تستمر طويلا فلم يعثر في مقابر الملوك بعد ذلك بفترة على جثث لأفراد الحاشية مدفونة مع جثة الملك ووجدت المقبرة الملكية خالية من اية جثة سوى جثة الملك ولا تتسع وكان البابليون يعتقدون ان المتوفى سواء كان صالحا ام شريرا سيذهب الى مكان مظلم في جوف الارض يسمونه (ارلو) وفي هذا المكان تقيد ايدي الموتى وأرجلهم ابد الدهر ،ومن كان كثير الذنوب لقي في ارلو اشد العذاب وسلطت عليه افتك الامراض ، كان الاعتقاد السائد بين سكان بلاد الرافدين ان الالهة وحدها هي الخالدة وان موت الانسان امر لا مفر منه وفي ذلك تقول ملحمة كلكامش

(وحدها الالهة تعيش ابدا تحت الشمس، أما البشر؛ فأيامهم معدودات، وكل ما يجزونه لا يعدو ريحا ذا هبة)

وبعد الموت ومن خلال القبور العديدة بأدواتها وتجهيزاتها الجنائزية يثبت الاعتقاد السائد عند سكان العراق القديم بوجود الحياة الاخرى ومن اجل ذلك كان الناس يجهزون المتوفى احسن تجهيز ويلبسون افخر الثياب ويدفنون مع موتاهم أحسن أنواع الأواني والأدوات وأجود أنواع الطعام والشراب والاحتياجات الشخصية الأخرى [٩] ،على الرغم من وجود الكثير من الأساطير التي تؤكد أهمية سعي الإنسان وراء الحياة مثل أسطورة إيتانا (Etana) الراعي الذي حاول أن يرقى إلى السماء على أجنحة النسر فقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل إذ كان الموت نصيب البشر رجالا ونساء بل إن دوموزي (Dumuzi) الذي كان في الأصل ملكا على أوروك والذي قيل إنه تزوج من الآلهة إنانا كان لا بد أن يموت وعندما هبط إلى العالم السفلي راحت حبيبته تبحث عنه بغير جدوى وبقي دوموزي ليحكم تلك الأرض التي لا عودة منها وعلى عكس الاعتقاد الشائع وأيضا على عكس الافتراض الذي افترضته مجموعة من الباحثين في تفسيرهم للأسطورة وللطقوس الدينية

بأنها .تمثل البعث الذي يعبر عن الموت الموسمي للنبات وعودة الحياة إليه على العكس من ذلك فإن دوموزي لم يعد إلى الحياة على الأرض مرة أخرى طبقا لما ترويه الأسطورة التالية التي تتحدث عن هبوط عشتار إلى العالم السفلي وهناك قدر من الغموض في نظرة بلاد ما بين النهرين إلى الموت والحياة الأخرى فالجحيم المظلم أرالو Arallu أو الأرض الهائلة أو (دار الاشباح) توجد تحت الأرض، وتبلغها أرواح المتوفين عندما تعبر بالقوارب نهر خُبرة Habour وينعكس هذا الاعتقاد على شكل القوارب التي عثر عليها في بعض القبور فها هنا نجد مملكة أريشكيحال Erishkigal وزوجها نرجال Nergal مع حاشيتها من الآلهة والموظفين من صرعى الحروب وبما في ذلك وزيرها أشروم وإلهة الكتابة بعلة صيرى Beleterstim التي تقوم بتسجيل الداخلين وهؤلاء جميعا يحتاجون إلى طعام وملابس وأدوات شأنهم شأن الآلهة الموجودة على سطح الأرض والبشر الذين يعيشون فوقها وتعتمد مرتبة المرء في العالم الآخر على نشاطه إبان حياته ويتولى الحكم على أرواح الموتى إله الشمس الذي يمر بالعالم السفلي في السماء فيزودهم بالضوء الوحيد الموجود لديهم كما يحكم عليهم أيضا الإله ننار الذي يقرر نصيبهم يقص أنكيدو أحلامه على جلجامش ويصف العالم السفلي بأن الحياة فيه كئيبة موحشة فهي انعكاس شاحب للحياة على الأرض ويروى له كيف سيق إلى بيت الظلام

إلى البيت الذي لا يغادره من يدخله .....

إلى الطريق الذي لا عوده منه .....

إلى المكان الذي لا يرى سكانه نورا ولا ضياء.....

حيث الغبار طعامهم والطين قوتهم.....

عليهم أجنحة بدل الملابس.....

يعيشون في الظلام فلا يرون النور.....

في بيت التراب شاهدت الملوك وتيجانهم مطروحة على الأرض والأمراء.....

الذين حكموا في القرون الخوالي.....

وهؤلاء النزلاء يطعمون ويشربون مياها باردة وتكريما للآلهة وحسب ما ذكرته الأسطورة، وتقديم ولائم جنائزية ليقيم أود الأسلاف فإذا ما رقد شخص ما أو روحه(إتيمو Ete mu) بغير دفن أو حرمت من المساندة التي يقدمها الأحياء فإنها تطوف بهم وتعذبهم ويدفن الملوك كالعامة في مقابر أو أسفل مساكنهم وتضم القبور الملكية في أور (٢٦٠٠ ق.م) ما بين ٧٣ إلى ٧٤ من الأتباع والموسيقيين كما تشتمل على هدايا من الجواهر وأواني وأدوات موسيقية ومزلجة للمدفن وحيوانات لتجرها (كما هو الحال في مقبرة بوآبى pu-Abi) وربما كانت هذه ممارسات من أصول غير سامية مستمدة من خارج بلاد ما ومشابهة لتلك الطقوس المعروفة في مصر. وإن كانت تشير على

كل حال إلى حاجة الإنسان للتزود بالمؤن من أجل الحياة في العالم الآخر [١٠] ، وثمة مشهد رمزي للطقوس الجنائزية لموت الملك ففي المدينة موكب يقوده (احد الملوك المجانين) وهو يرتدي ملابس ملوكية ويحف به رجال متنكرون يقومون باعمال غير مسؤولة ويتبع هذا الموكب جمهور في حلة الهذيان هو على الارجح احد المحكومين بالاعدام يقوم بدور ملك خيالي مؤقت فعند مراسم النزاع يذهب البديل الملكي ليلاقي حتفه وهذه المراسم البابلية احياء مخففا لاؤلئك الذين امكن كشفهم اور منذ عهد قديم جدا في مقبرة يقال (مقبرة الملوك) حيث هناك علاوة على ذلك اغتيالات طقسية جماهيرية [١١] ،ومن الطقوس البابلية يدفن مع الميت الأثاث الجنزي يتكون من أشياء مختلفة كالسكاكين والموازين والحبات من العقيق والبراميل الصغيرة والسهام ثم استبدل الحوض فيما بعد بإناءين كبيرين من الفخار وكان طعام القربان يقدم مرة كل شهر للراحل اتقاء أذاه أكثر منه تكريما له كان من المعتقد في الواقع ان ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت ويتحول الى روح شريرة تسمى (اديمو) وتنظم الى طبقة الـ(اوتوكي)الاشرار وهي لا تستريح طالما لم تدفن الجثة ان من تبقى جثته ملقاة في الحقول يظل خياله غير مستقر في الأرض وان من لا يعني احد بخياله يقتطع ما يصل الى يده في مطافه السريع من بقايا الاطعمة الملقاة في الشارع ليأكلها فان الحرمان من الدفن كان اقصى عقوبة (فلتسقط جثته ويجد لها قبرا) وحين تؤدي اخر الوجبات للجسد ينزل الاديمو الى الارض العظيمة الى (بيت الظلام) مسكن (رجال) الى البيت الذي لا يخرج منه من يدخل فيه وطبقا لما جاء في قصيدة نزول عشتار الى الجحيم [١٢] . كان السومريون قد ورثوا التقاليد الحضارية للدفن شعائر الموت من التراكم الحضاري الذي ساد في جنوب العراق القديم منذ الإلف الخامسة قبل الميلاد وكانوا يعتبرون اقامة هذه الشعائر دليل رفعة حضارية ولذلك فانهم يصفون بدو مارتو (الاموريين) وكانت الشعائر الجنائزية في سومر تقام من اجل ارضاء الهة السماء والهة العالم الاسفل معا يعتني بالميت وللجم غضبها وتقسم الشعائر الى ثلاثة اقسام[١٣] :

١ – **طقس كسبا:** وهي من الطقوس التي تقدم فيها مختلف الأطعمة إلى الأرواح الموتى حيث تذبح فيه الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور والنبيذ الأبيض والفاكهة وكانت التقاليد تقضي بفرش مائدة ويترك مقعد واحد فارغ لروح الميت الذي أقيمت الوليمة لاجله وكان هذا المقعد يسمى بالسومرية كرسي الروح (كش كوزاديما) ويسمى بالاكدية (كسو اطيمو) وكانت القرابين الجنائزية تقدم امام تماثيل الملوك بصفة خاصة.

٢– **طقس المي نقو:** وهي طقوس سكب الماء لإرواء ظمئ الميت، وكان الماء يسكب عبر انبوب فخاري ينزل من سطح الارض الى العالم السفليّ، فقد عثر في احد الابنية العائدة الى الملك

السومري شولكي، ثاني ملوك سلالة اور الثالثة أنابيب فخارية تحت الارض الى الاسفل بصورة عمودية كذلك عثر على الاضرحة الخاصة بالملوك على منافذ خاصة لهذا لغرض.

٣- **طقس الشومازكارو:** وهو طقس (ذكر الاسم) والمقصود منه تطمين الميت بان ذكراه ما زالت قائمة بين الاحياء وان نوعا من البقاء من خلال الاسم يتحقق له .

اعتقد العراقيون القدامى بحتمية الموت وقصة الخليقة ان اله الموت اككاي كان موجودا قبل ان يخلق البشر ،وهذا ادراك بتأخر خلق الإنسان بالنسبة الى كائنات حية أخرى وسريان الفناء على الجميع وبالموت تنفصل الروح عن البدن وتذهب الى عالم الأموات ،ولم ينج من الموت باعتقادهم إلا اوتونابيشتيم وزوجه وابنته والملاح اور شنابي وملك سبار السومري انمدور اننا الذي ذكر نص دعوة الالهة لتعليمه فن التنبؤ عن المستقبل [١٤] . ويستعمل السومريون كلمة (كر-Kur) للدلالة على العالم السفلي او عالم الموت الذي يصار اليه قارب يقوده ملاح خاص يمخر عبر نهر عباب حاملا الموتى الى عالمهم عالم الاموات إلّا أنَّه لا يخلو من معالم الحياة ذلك ما تحدثنا عنه الألواح السومرية التي تصف نزول الملك اور – نمو الى العالم السفلي والتي تدور حول فكرة البعث او القيامة والعودة الى عالم الاحياء [١٥] . وتتجلى أهمية المرثية بوصفها إحدى الطرق التي كان يعبر بها أقارب المتوفي وأصدقاؤه عن أحزانهم ومشاعرهم نحو الميت [١٦] ، حينما كان الرجال والنساء يندبون الموتى ، ويقيمون الحداد عليهم ويبكونهم ، وذلك لأن الاعتقاد السائد بين سكان بلاد الرافدين أن دموع الأحياء ومراثيهم يمكن أن توفر للموتى بعض الراحة [١٧] .ان اقدم اشارات موجودة حاليا للدفن جاءت في كتابات اورو اينيمكا(الذي قرىء بالسابق خطا اوروكا جينا) اذا اخبرنا بانه اذا وضع الميت في تابوته فان شرابه ثلاث جرار خمر ، وثمانون رغيف خبز وراس خروف واحد واذا وضع في غرفة ايا المطلمة (القبر) يجب ان يحصل على سبع جرار من الشراب و٤٢ رغيف خبر و١٢٠ قا حبوب وبدلة واحدة وعجل واحد وفراش وكرسي فالميت كان يزود بالعطايا عند وضعه في تابوته ودفنه في قبره، ونقرا في رسائل للملكيين شمشو ايلونا وعموديتانا من سلالة بابل الاولى يؤكد فيها الحاجة الى سلاحف لعطايا الأموات والثاني الى الحليب والزبد كثوابات لشهر آب وذكر نابوا مره بمسح جثة والده بالزيت بملابسه الثمينة المنسوجة من الكتان الابيض والمزينة بالأحجار الثمينة وذبح خرفان السمان وقدمها إليه[١٨] .

المبحث الثاني/ طرق الدفن في العراق القديم:

بدأت العمارة فناً حين فكّر رجل أو فكّرت امرأة لأول مرة في العراق القديم أن تقيم بناء للمظهر وللنفع معاً وربما اتجه إنسان العصور التاريخية الى عكس هذه الرغبة وفي البناء ونقله الى فضاء المقابر قبل أن يتجه إلى الدور، وبينما تطور العمود التذكاري الذي أقيم عند المقبرة إلى فن

التماثيل، فقد تطور القبر نفسه ، وذلك لأن الموتى العراقيين القدامى أهم وأقوى من الأحياء، هذا فضلاً عن أن الموتى مستقرون في مكان واحد، بينما الأحياء يتجولون هنا وهناك بحيث لا تنفعهم الدور الدائمة .ولقد وجد الإنسان لذة في الإيقاع منذ زمان بعيد [١٩] ، وقد أثبتت أقدم التنقيبات للعصر الحجري القديم الباليوثي ٢٠٠٠ ق.م (Paleolithic) ، حول مواضع المقابر في كهف هزارمرد Hazar Mard القريب من السليمانية وفي كهف شانيدر Shanider في منطقة راوندوز وقد اسفر التنقيب في هذه المناطق في العثور على أربعة هياكل عظمية مهشمة للإنسان القديم النياندرتال ،احدها لطفل ربما لم يكمل عامه الاول (يبلغ طوله هيكله العظمى قدماً واحدة ونصف بوصه) والثلاثة لآخرين بالغين[٢٠]. وعرفت المجتمعات البشرية منذ تكونها طرقا عديدة للتخلص من جثث الموتى في ظل المعتقدات التي اعتقدها وتراوحت هذه الطرق من حفظ الجثة في حرز خفي بعد ضمان إبقائهما على شكلها باستعمال التحنيط مثلا الى الإتلاف الكامل لها عن طريق تعرضها للضواري والجوارح أو حرقها ولكن الطريقة الأكثر شيوعا عبر مراحل التاريخ البشري كانت الدفن وكانت هذه الطريقة تكاد تكون الوحيدة التي استعملت في ظل معتقدات سكان العراق القديم ولقد مورس دفن الاموات في أربعة مواضع يؤدي كل منها الى الغرض المبتغى من عمليات الدفن وهي :[٢١]

١- الدفن تحت أرضيات المساكن:

كان الدفن تحت أرضيات المساكن يمثل اقدم ما اتبع في دفن الأموات في تاريخ وادي الرافدين واستمر هذا التقليد في الدفن حتى بدايات الإلف الثالث قبل الميلاد إذ كشفت التنقيبات الاثارية في موقع مدينة نفر (نيبور القديمة) عن ممارسة دفن الأموات تحت أرضيات المساكن ابتداء من عصر فجر السلالات الأول وفي مدينة (كيش) تلول النقرة على بعد ٢٠ كم شرق بابل (كانت جثث الموتى تدفن تحت أرضيات المساكن وغرف المنازل ومنذ عصر فجر السلالات الأول ٢٨٠٠ ق .م، سواء كانت تلك الغرف نفسها التي يقيم فيها الاحياء أو انها .(غرف شيدت لغرض الدفن) [٢٢] وقد وجد علاقة وثيقة بين بدايات ظهور الدين عند الانسان العراقي القديم وتصوراته عن الموت وادائه لطقوس وطرق الدفن فمنذ ان بدأ الانسان بدفن موتاه بقصد وعناية وحتى انعطفت تاريخ المعتقدات الدينية ، وفي سومر اصبحت طقوس الدفن واختيار المدافن جزءاً حيويا من العقيدة الدينية وكان اماكن الدفن تتنوع وهي تتراوح درجتها وأهميتها بين الدفن تحت ارضيات البيوت او في القصور الملكية او المدافن الكبرى [٢٣] .كما هو موضح بالشكل رقم (١)

٢- القبور في القصور الملكية:

القبور الملكية التي لم تصل منها سالمة سوى اضرحة ملوك اور عصر فجر السلالات والتي كان قد اكتشفها "ليونارد وولي" والتي ترجع لملوك سلالة أور الثالثة (لثلاثة ملوك فقط) إما مقابر ما

قبل عصر فجر السلالات والتي قدر حديثا تاريخها إلى حوالي(٢٥٠٠- ٢٤٠٠ ق.م) أي قبيل سلالة أور الأولى لمؤسسها الملك ميسانبيدا [٢٤] ، فقد عثر فيها على ما لا يقل عن (١٦) قبرا ملكيا بشكل عام يتكون كل قبر من هذه القبور من أرضية واسعة فيها تابوت يحتوي على جثمان ملكي ، ومجموعات من هياكل الرجال يبدو انهم من الخدم وهياكل لنساء يحمل بعضهم تاجا من الذهب ، وهناك عدد كبير من الأواني واللقى والخرز والاسرجة والتعاويذ والحلي الشخصية والخناجر وقد يصل عدد الحاشية الى حوالي(٤٠) شخصية ووجدت في بعض القبور كذلك عربات ملكية ربط الى كل منها ثلاثة ثيران او حمير مع حوذيها والسائس امامها وهناك قيثارات موسيقية وغيرها ،وكتب ي . كليمان انه عثر (في المقبرة الملكية على خرزات من العقيق مرسوما عليها إشكالا هندسية مصبوغة بنفس الطرق الكيمائية التي استعملت في معاملة المواد الاخرى) [٢٥] كما هو في الشكل رقم (٢) ،وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من المقبرة ويعتبر بمثابة مقر أقامة الملك "اورنمو" وخلفائه، وكان البناء الثاني (الضريح) قد اشتمل على قبر كل من الملك اورنمو وقبور خلفائه المباشرين، وكانت تحت مستوى الأرض مباشرة مع غرف الدفن بدهاليزها وإدراجها التي تؤدي إلى هذه القبور، وفوق هذه البقايا نشاهد مكاناً للصلاة خاصاً بشعائر الدفن وكان على قدر كبير من دقة التصميم والبناء. وقد كانت هذه المقبرة كغيرها من قبور السلالات القديمة ثرية بكنوز ضخمة لا تحصى .لم يبق من أبنية هذه المقبرة إلى الهيكل والدهليز بحالة سليمة جزئياً، ولم يجد العالم "وولي " سوى أجزاء من صفائح ذهبية تؤكد وجود كنوز مسروقة .حيث لم يتم تحديد موقع لاي قبر من قبور الملوك اللاحقين في بلاد الرافدين .اما الغرف ذات الدهليز فكانت تتميز بوجود مجموعة من الدرجات تؤدي إليها وكانت مسقوفة بقناطر ذات أصناف مصنوعة من القرميد المشوي .لقد اجرى العالم " وولي" دراسة عميقة وشاملة لموقع مقبرة أور وللآثار الباقية فيها، وأستطاع تسجيل التفاصيل عن وجود بناء فوقي مؤقت يرتبط فقط بطقوس الدفن واستبدل فيما بعد بمعبد دائم لنفس الغرض [٢٦] ،ويعود تاريخ الاستيطان في المدينة إلى عصر العبيد المتأخر في الألف الرابع ق. م، وقد كشف في الطبقات التي تعود إلى عصر فجر السلالات بناءين كبيرين مشيدين باللبن المستوي المحدب يقعان على جانبي السلم العائد إلى الزقورة التي تعود إلى عصر أور الثالثة، ومن أهم ما كشف عنه هي المقبرة الملكية التي تعود إلى عصر فجر السلالات الثالث، ولهذه المقابر أهمية كبيرة من النواحي العمارية والفنية والعقائدية وتقع هذه المقابر في الجزء الوسطي من المدينة وهي محاطة بسور يسمى (التيمنوس) ويعني الجدار المقدس والذي يعزلها عن باقي أقسام المدينة، وقد عثر داخل هذه القبور على أدوات ثمينة مصنوعة من الذهب ومزينة بالأحجار الكريمة [٢٧] . كما امرت الملكة نيتوكريس (٢١٨١-٢١٨٤ق.م) حاكمة بلاد بابل ببناء لها فوق البوبات في اكثر مناطق المدينة ازدحاما بالسكان (وكان يقع المدفن فوق البوابات تماما)

وحفرت عليه الكتابة التالية :(اذا رأى أي من الملوك البابليين الذين يأتوا من بعدي انه بحاجة الى النقود فليفتح هذا المدفن وليأخذ من النقود ما يشاء ولكن الا يفتحه عبثا دون الحاجة والافضل من هذا وذاك الا يفتح المدفن اطلاقا) وبقي المدفن دون مساس الى ان انتقلت السلطة الملكية الى يدي داري (داريوس) الذي فتح المدفن لكنه لو يلق اية نقود هناك فقد شاهد جثة الميت فقط وكتابه تقول (لو لم تكن لهذه الدرجة من البخل لما فتحت مدفن الموتى) تلكم ما يتحدثون به عن هذه الملكة [٢٨] .وعثر في مدينة اشور على اضرحة للدفن كانت هذه غرفا بطول ٧ امتار وعرضها كذلك وذات اسقف مقنطرة لارتفاع ٤ امتار وعلى الجدران عملت رفوف لوضع الفوانيس ، وفي احد الأضرحة تم العثور على تابوت حجري ويحتمل ان يكون ضريحاً ملكياً مع تابوت ملكي بلغ وزنه ١٨ طنا وطوله ٤ امتار وارتفاعه ٢ متران وعندما تم ترميم هذا التابوت كانت الحروف تقول (قصر اشور ناصر بعل ملك الكون وملك اشور وابن اداد نيراري ملك الكون) [٢٩] . كما ورد في الكتابات المسمارية حوالي ٣٠٠٠ ق.م[٣٠] ، وقد ورد ذكر الموقع ضمن مسوحات منطقة ديالى التي قام بها (روبرت آدمز) فقد أمكن إرجاع زمنه إلى عصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم [٣١] وعد من أهم المواقع الأثرية الكائنة في الجانب الشرقي من نهر ديالى، ونقبت فيه بعثات عراقية تابعة لدائرة الآثار والتراث العامة التي بدأت موسمها الأول في أواخر مايس (١٩٧٧) م، وكشفت التنقيبات عن طبقات جديدة فضلاً عن العثور على عدد كبير من القبور بلغ عددها(١٤٥) قبراً تعود إلى الطبقات من (١-٥)، بعضها في حالة جيدة وأخرى تعرضت للتخريب، ولم يتم تشخيص حالة معينة للدفن ولكن أغلب الهياكل وجدت مدفونة في حالة القرفصاء ،وقد استمرت الحفريات حتى منتصف آب سنة ١٩٧٨ ثم استمر العمل في الموقع لموسم ثان كشف عن حارة سكنية كبيرة في القسم الشرقي من الموقع [٣٢] .

٣- **القبور في الاماكن المقدسة** : كان الملوك العراقيون القدامى يدفنون في القصور الملكية كنوع من الامتياز الخاص بهم ،الدفن في الأضرحة المستقلة الخاصة بالملوك كما في اضرحة ملوك اور الثالثة (٢٠٨٠-١٩٩٨ ق.م) حيث دفنوا مزارات خاصة تحتوي على العديد من الغرف التي كانت تمارس فيها الشعائر الجنائزية [٣٣] ،فقد عثرت البعثة الأثرية التي ترأسها السير ليوناردو وولي(١٩٣٢) على مقبرة ملوك اور وتضم (٤٥٠) قبرا تحت الارض وبأسقف مقوسة وكانت هذه القبور تحوى على كنوز حقيقية من اثار قيمة دفنت مع الموتى كجزء من مراسيم طقسية وجنائزية [٣٤] .وهناك ايضا الدفن في الاماكن المقدسة وهو مارسه السومريون من عمليات دفن كبرى في مدينة (دلمون) حيث كانوا يعتبرونها ارضا مقدسة للإله (انكي) وهو شفيعهم بعد الموت فقد وجدت في دلمون مقابر لمئات الالوف من السومريين [٣٥]

،وكان الدفن يتم بحسب معتقداتهم بيت الاله باعتباره رمزا لاستئناف عملية الخلق والتجديد بعد قيامه الاله من عالم الأموات وعادة الدفن في هذه القبور اشتهرت بها عصور فجر السلالات حيث ان الملحودين في تلك القبور هم بالدرجة الأولى كاهن وكاهنة كانا يقومان بدور الزواج المقدس في فصل ظهور الإنبات [٣٦] .

٤- **المقابر العامة:** كشفت أولى حفر المدافن، على الطرف الشرقي لتل مجنونة(نصف كيلو متر إلى الشمال من التل الرئيس في براك)، عظام لأربعة وثلاثين شاباً في منتصف العمر، وقد تم التنقيب في قسم محدود منها فقط .وذكرت أوغستا ماكماهون ، Augusta McMahon الآثارية البريطانية" :يوجد المئات ومن المحتمل أن نجد الآلاف ."وقد ظهرت علامات أذى واضحة على جمجمتين على الأقل، مما يمكن أن يكون سبب الوفاة .ويشير غياب عظام الأرجل والأيدي إلى أنها تركت لتتحلل قبل الدفن، بحقيقة أن معظم الجماجم ظهرت ملفوفة عندما تم وضع الجسد داخل الحفرة كما وجدت مجموعة من الفخار فوق الهياكل العظمية، وعلى الأغلب أوعية تستخدم للتخزين والأكل، وعظام بقر –وهذا دليل على وليمة كبيرة ويوجد حفرة ثانية للدفن أبعادها اثنا عشر متراً، على منحدر التل الصغير، وتعود لنفس الفترة .ووجد فيها على الأقل 28 جثة –أغلبها من الشباب .وقد تضمنت مجموعات من العظام الطويلة يمكن أن تكون قد حملت إلى هناك باليد . وكما في الحفرة الأولى، يوجد أيضاً مجموعة من الفخار وعظام البقر، في الوقت الذي لم تتواجد فيه عظام الأصابع والأرجل والأيدي. على الطرف الآخر من التل، كشفت منطقة ثالثة عن طبقة كثيفة من الرماد لأكثر من متر. وقد تضمنت 13 هيكلاً عظمياً لشباب أعمارهم بين 20 إلى 45 سنة وطفلين. تظهر هذه الأجساد وقد وضعت لترتاح بعناية، ظهر التأثير من بلاد الرافدين الجنوبية حيث سيطر الفخار الجنوبي على السجل الأثري، في بداية 3400 ق.م [٣٧]

وفي جوار المقبرة سراديب واسعة تحت ابنية مشيدة بالأجر كانت مقبرة لملوك سلالة اور الثالثة والذي آلة ملوكها انفسهم في حياتهم فشيد كل منهم قسما من هذه السراديب ليدفن فيه ولتقدم له القرابين والنذور في المناسبات [٣٨] ،فقد مورس الدفن تحت أرضيات البيوت في دور الوركاء ونفر منذ عصر فجر السلالات وفي مدينة كيش منذ عصر فجر السلالات الاول سواء كانت تحت ارض غرق الاحياء او الغرف المشيدة خصيصا للدفن وكان القبر يحتل زاوية الغرفة وتسمى قبر البيت بـ(كيماخ) (Ki Makh) وهو مصطلح سومري يعني حرفيا الارض العظيمة ، اما المقابر المخصصة للأموات فقد بنيت مقبرتين احدهما بداخل المدن السومرية والاخرى في قبور موجودة خارج المدن كما في نفر واريدو [٣٩].

وعثر المنقبون في إحدى المدافن على هيكل فخاري لعربة ذي عجلتين وفي مدافن اخرى على بيوض النعامة اما المادة الأكثر أهمية فتم الحصول عليها من تنقيبات التل الغربي حيث عثر على

مقبرة وتوابيت شبيهة من حيث الشكل بتوابيت اور ووجد في بعضها اثأر لمدافن جماعية اما الطبقات الأعمق فقد وجد مصنوعات تمتاز بصفات عهد جمدت نصر[٤٠].

على بعد خمسين مترا من السور الحجري على الجانب الجنوبي الغربي من منطقة المعبد المرتفع عثر على مقبرة تحتوي على (١٠٠) متر تابعة لعصر عبيد الأخير ولقد تم الكشف عن حوالي (٢٠٠) من هذه المقابر تتكون المدافن منها من ممرات رئيسية مبنية من الداخل من اللبن الطيني وكان لا بد من تحديد مواقع هذه الممرات على سطح الارض؛ لأنَّه يمكن اجراء عملية دفن ثانية في نفس المكان كما كانوا يدفنون جثة الكلب أحيانا في قبر صاحبه ،ان مقبرة أريدو التي يمكن تحديد تاريخها بالنصف الأول من الإلف الرابع قبل الميلاد تمثل مرحلة متقدمة من تطور طقوس الدفن كما نلاحظ في المواقع الاقدم ان المدافن منها كانت تتركز في مناطق محددة غالبا بجوار الاماكن المقدسة .وللمرة الاولى فإنها تماثل هذه القبور وعددها يخلق انطباعا بانها مقبرة عاصمة حقيقية ولقد اختير موقع المقبرة في اريدو خارج المستوطنة العبيدية وموقع المعبد [٤١] . وفي مدينة كيش الواقعة اطلالها القديمة على بعد عشرين كيلو متر الى الشرق من بابل كانت جثث الموتى منذ فجر عصر السلالات الاولى بحدود (٢٨٠٠ ق.م) سواء كانت الغرف نفسها التي تقيم فيه الاحياء او غرف مخصصة للدفن وكانت تدفن تحت ارضيات غرف المنازل وموضع القبور في هذه الغرف عند زوايا في الغالب حيث تكون جدارها ضلعين من إضلاع القبر يقابلها ضلعان يبنيان بطبقة واحدة من اللبن اما في منطقة ديالى فقد كشفت التنقيبات التي أجريت في خفاجة موقع مدينة توتب القديمة عن كون هذه القبور العائدة الى عصر فجر السلالات عبارة عن حفر بسيطة موجودة تحت أرضيات البيوت التي استمر السكن فيها بعد القيام بعمليات الدفن[٤٢] .،كما ان السومريين كانوا يؤمنون بالحياة الآخرة، لأن الطعام والأدوات كانت تدفن مع الموتى في القبور وفي مدافن عامة،وكانوا يصورون وجود حياة في الدار الآخرة[٤٣].

وضعية الميت وموقع اتجاهه في القبر:

إنَّ نتائج التنقيبات الاثرية التي جرت في مواقع عديدة من بلاد الرافدين تشير الى عدم التزام سكان العراق القدامى بقاعدة محددة لوضع الجثة في القبر وتحديد اتجاهها فالغاية من الدفن هو المساعدة على نزول الروح الى العالم السفلي فالملاحظ تاريخيا ان الدفن لم يكن خاضعا لقواعد تحدد وضع الجثة واتجاهها في الداخل فالتكوينات المعمارية مثل الجدران واتجاهات الابنية تتحكم في اتجاه القبر فدفن الاموات في بلاد الرافدين بوضعيات مختلفة دون الالتزام بوضعية معينة فبعضهم كان يمدد طولا كاملا على الظهر والبعض الاخر على احد جنبيه مع رفع الركبة ليلتصق الفخذان بالبطن ومن الوضعيات تمديد الميت على الظهر مع ثني الرجلين ورفع الركبتين الى الاعلى او جعل الساقين متقاطعين الى الدخل اما وضعية الايدي فكانت ممدة على جانبي الجسد

او متقاطعة في الدفن على احد الجنبين وفي الحالة الاخيرة اكتشف في العديد من القبور اقداح فخارية في يد المتوفي مما يصوره كأنه يرفعها امام وجهه ويهم بالشرب منها[٤٤].

المبحث الثالث/ أنواع القبور والتجهيزات الجنائزية في العراق القديم:

أولًا/ أنواع القبور:

لقد شهدت بلاد الرافدين انواعاً مختلفة من القبور والتوابيت التي لم يكن يجمع فيما بينها سوى الهدف المتمثل دفن الجثة لحين تنتهي الى البلاء بعد خروج الروح منها ونزولها الى العالم السفلي وهذا هو الجانب الديني في عملية الدفن ولم يكن موضع اختلاف وتنوع اما اشكال القبور والتوابيت وموادها وكيفية استعمالها فلم تكن محكومة بقواعد واضحة للعقيدة الدينية [٤٥] ،وتعتبر المقابر التي اكتشفت خلال إعمال التنقيبات ذات أهمية متميزة لأنها تمثل جوانب حضارية متعددة في الوقت التي تكشف تلك المقابر عن بعض الشعائر والطقوس المتعلقة بأساليب الدفن والمواد الأثرية الخاصة بها، فإنها تزودنا بمعلومات حضارية تشكل مظهرا من مظاهر فن العمارة وتلقي ضوءا على بعض المعتقدات الدينية التي سادت خلال الفترة لتلك القبور[٤٦]، إنَّ المواد واللقى الاثرية التي تم اكتشافها في قبور وادي الرافدين تعتبر من أهم المكتشفات الأثرية التي تم العثور عليها لحد الان في المواقع الأثرية للموتى وذلك لسببين:

أولهما: الاهتمام المواد التي تم دفنها مع المتوفي؛ لأنَّها تتعلق بفكرة الحياة ما بعد الموت.

ثانيهما: المادة المصنوعة وغالبا ما تكون مواد معدنية واحجاراً كريمة تتمثل فيها دقة الصنع ومهارة التعبير التي تم الكشف عنها في المقبرة الملكية في أور وبعض القبور في مدينة الوركاء ومقابر تل الصوان في منطقة وادي الرافدين[٤٧] ومن انواع هذه القبور:

١- **القبور البسيطة:** كانت هذه القبور تحفر بشكل بسيط في الارض وبأعماق مختلفة من قبر لأخر لتمدد الجثة فيها بأوضاع مختلفة ويمكن القول ان هذا النوع من القبور اقدم انواع القبور واكثرها شيوعا في بلاد العراق القديم وكما كانت الاعماق التي تحفرها هذه القبور مختلفة فان ابعادها كانت مختلفة من قبر الى اخر ويوجد اكثر مثل هذه القبور في تل الصوان الى الجنوب من سامراء يعود تاريخها الى العصر الحجري –المعدني (الالف السادس قبل الميلاد) وكان معظم هذه القبور بيضوي الشكل ويتراوح عمقها ما بين ٢٢و٥٠ سم، وكان هذا النوع شائعاً في مقبرة اريدو من عصر العبيد وفي مقبرة اور من عصر جمدت نصر وفجر السلالات حيث كانت الجثث تلف بحصر من القصب ايضا ،وفي العصر البابلي القديم (النصف الاول من الاف الثاني ق.م) واستعملت قبور مشابهة في دفن الموتى طوال الالف الثاني قبل الميلاد في مدن اور ونفر وبابل واشور[٤٨]، وفي حفريات تل الحسونة كشف في اسفل ارضيات المنازل عن جبانة ضخمة تضم ما يتجاوز المائة والثلاثين قبرا حفرت في اسفل ارضيات الحجرة فوق الارض البكر مباشرة زودت

جميعها تقريبا بمتاع ثرى من الانية المرمرية المتعددة الاشكال والاحجام والتي تتضمن الجرار والاكواب والاطباق [٤٩] ،واما طريقة الدفن فكانت حفراً شقت في باطن الارض وكشف اسفل ارضية احدى الحجرات بتل حسونه عن قبر لشخص مقرفص وأغلق احد جوانب القبر بأحجار كبيرة ولم يعثر فيه على أية أدوات او أوان مما يعبر عن متاع شخصي ، وكشف عن هيكلين عظميين بشريين دفنا في صومعة غلال محفورة في الارض واحد الهيكلين بدون جمجمة مما يوحى بان دفنهما لم يكن عاديا وأنهما وريا الثرى في هذا المكان غير المخصص للدفن وفي مكان اخر عثر على مجموعتين صغيرتين من البقايا العظمية البشرية عند ركنين متقابلين وتكرار فصل الجمجمة فقط في حالة مهشمة الى التساؤل عما إذا كان الأمر يتعلق بنوع من الطقس ديني بدأ ظهوره في اواسط حضارة تل حسونة [٥٠] .

٢- قبور مشيدة من الطين او الخشب والسلال:

من خلال التنقيبات الاثرية تبين ان سكان العراق القدامى كانوا قد استخدموا توابيت من الطين او الخشب او السلال بالرغم من كونها مواد معرضة للتلف وقد عثر على موقع خفاجي (مدينة توتب القديمة من العصر البابلي في بلاد الرافدين) ضمن حفريات محافظة ديالى على تابوت طيني في احد القبور وفي داخله هيكل ممدد على جانبه الايمن ، وقد بدء باستخدام الخشب في مقبرة اور لصنع دعائم خشبية تحمل حصر القصب التي يمدد عليها الاموات وفي العصر نفسه استعملت المحفات الخشبية في القبور لوضع الاموات عليها من دون استعمال الخشب لتغطية الموتى في نفر ، واستعملت في مقابر اور وشروباك في الالف الثالث قبل الميلاد وتوجد قبور مشابهة استعملت في كيش في خلال العصر البابلي الحديث (في الالف الاول قبل الميلاد) ، اما السلال التي يفترض انها صنعت من القصب مما يدل على استعمالها لدفن الاطفال والتي وجدت بقاياها في احد القبور في "تل خفاجي" والذي عثر عليه في احد البيوت [٥١].

٣- قبور مشيدة باستخدام اللبن والطابوق:

قبور يمكن تسميتها بالجماعية وتعني بذلك احتواءها عدة قبور ولقد وجد من هذا النوع والتي تحتوي على خمسة قبور أحدهما كامل وبحالة جيدة يوضح الجوانب التخطيطية والمعمارية في البناء والقبور وهذه عبارة عن حفرة كبيرة في الارض يتم النزول اليها من طريق سلم ذي درجات متعددة يبتدئ من مستوى ارضية البيت ونزولا الى هذه المقابر ليوصل الى ارضية القبر ويكون شكل سقوف هذه القبور مقوسة، ويعتمد شكل القوس الذي قد يكون من قبر واحد او من عدة اقواس استنادا الى طبيعة المخطط الارضي للمقبرة ،ولوحظ ان المخطط الارضي لهذا القبور يحتوي على اختلافات ثانوية وتمثل في عدد من اللحود ويميل شكل المخطط الارضي لبعض القبور الى الشكل المربع بينما يبدو القسم الاخر مستطيلاً بشكل واضح وفي المقابر المستطيلة

يكون سلم الدخول اليها في الزاوية الشمالية الشرقية بينما يقع سلم الدخول في المقابر المربعة في الضلع الشرقي وبذلك يمكن القول ان المداخل بشكل عام تواجه الشرق واقبية المقابر الجماعية تميل الى الشكل المنفتح مختلفة بذلك عن الأقبية الكبيرة لاواوين هذه المدة ويعود هذا النوع من المقابر في تل اسود الى الطبقة الرابعة والتي يعود تاريخها لبدايات النصف الثاني من القرن الثاني بعد الميلاد[٥٢]، وبنيت هذه القبور بالطابوق والجص ويلاحظ ان طابوق هذه القبور كان قد اخذ خصيصا لبنائها استنادا الى نوعية وتساوي مقاييسه مع عدم استخدام الطابوق المختوم (الطور البالي الحديث) كما استعمل الجص في هذه القبور لتسييع الجدران والأرضيات ومن المظاهر البنائية المميزة لهذه القبور وجود بناء من اللبن متكون من ثلاث غرف فوق منطقة القبر غرفتان صغيرتان تحتوي احداهما على سلم يؤدي الى القبر والثانية يمكن الدخول منها الى غرفة كبيرة تعلو قبو القبر والمرجح ان تكون هذه الغرفة تمثل قرارا صغيرا لإجراء طقوس دينية تتعلق بالموتى واعتمادا على الصورة المأخوذة من مقابرنا فإنها تتألف من حاجات مختلفة تبتدئ من مواد الزينة الذهبية كالأقراط النحاسية كالأساور والدبابيس، كذلك حوى جهاز الدفن مواد فخارية تتألف من جرار واواني وكؤوس ومسارج[٥٣].

وهناك نوع اخر من المقابر منها الذي يتكون من المقابر فهو القبر الذي يضم لحدا واحدا استعمل لدفن عدد من الموتى والمادة المستعملة في بناء هذا القبر الجص والطابوق سقفه على شكل عقادة، مقطعها ضيق يميل الى الاستطالة ويمكن النزول الى داخل القبر عن طريق سلم صغير[٥٤]. كما هو موضح في الشكل رقم(٣)

٤- قبور مشيدة باستخدام حباب فخارية كبيرة، النوع الثالث (شكل رقم ٤-٥-٦):

القبور التي استعمل فيها بقايا حباب فخارية كبيرة من الطابوق وامتازت بوجود هيكل واحد فقط والقبور الفخارية بشكل عام من الجرار والحباب يمكن تقسيم الدفن بها وفقا لما يلي :

١-الدفن في الجرار.

٢-الدفن في بقايا الحباب.

٣-الدفن في اوان فخارية بيضوية الشكل عميقة توضع بشكل مقلوب فوق عظام المدفون على ارضية مرصوفة بالطابوق احيانا.

٤-الدفن في اوان فخارية عميقة مستديرة الفوهة: توضع هي الأخرى بشكل مقلوب فوق عظام المدفون على ارضية مرصوفة بالطابوق.

٥-الدفن في صناديق من الفخار مغطاة بغطاء فخاري.

تبدو مدافن تل حسونة فقيرة من حيث المتاع الشخصي حيث كان يتم دفن الاطفال فيها ويرجح هذا النوع من الدفن في فترة عصر العبيد ؛ وفي التنقيبات عثر على داخل جرار من الفخار وعثر

بداخل هذه الجرار احيانا على اناء للشرب الى جانب عظام الطفل وفي احدى الجرار بتل حسونة دفن طفلان وهي حالة فريدة لم تتكرر بعد ذلك في مدافن الاطفال [٥٥] .

٦-الدفن باستخدام صناديق من الآجر تغمر في باطن الارض ثم يهال عليها التراب وتغلق بالآجر ايضا واستخدمت هذا النوع من الدفن في حضارة العبيد [٥٦] . إما بالنسبة لعمارة المقابر فقد تميزت بالمقارنة في العصور السابقة من انها ذات مظاهر عمرانية وإنها تحتوي على أدوات جنائزية للحاشية الملكية وهدايا ثمينة مقدمة للموتى وما تزال حتى اليوم تعطي قبور تلك الفترة انطباعاً بأنها كانت أبنية مهمة بجدرانها ذات الحنايا النظيفة والقوية وغرف الدفن المرتبة والسلالم المعقودة والتي شيدت بالأجر المثبت بالقار وقد وصف (وولي) طريقة الدفن وممارسة الطقوس الدينية الخاصة بالدفن بتقارير مفصلة وأكد (وولي) بجلاء مباني هذه القبور قد شيدت في عدة مراحل طبقا لطقوس الاحتفال الجنائزي وهي كما يلي:-[٥٧] .

١- تشييد القبور المقببة تحت الارض والدرجات التي تؤدي إليها .

٢-سد ابواب القبور بالأجر بعد الدفن.

٣-اقامة بنيان تحت القبر يمكن ان توضع فيه الهدايا للميت امام ابواب القبور وعلى الدرجات وفي الردهة العلوية.

٤-تشييد البنيان العلوي كما لو كان دارا مخصصا للسكن مزخرفا كثيرا وبشكل يحقق الراحة لمن يزور الميت كما يوجد في هذا البنيان قواعد خاصة لوضع التماثيل.

٥-الحرص على وجود فتحة توصل الى داخل القبر في الجدار القائم فوق باب القبر لغرض استخدام هذه الفتحة لملء القبر بتراب نقي واخفاء المدخل المؤدي الى درجات القبر. ووجدت مجموعات كثيرة من القبور في (المركز) يمتد تاريخها من ٣٠٠٠ ق.م الى ١٥٠٠ ق.م [٥٨] .

ثانيًا/ طرق الدفن :

كشفت التنقيبات الأثرية في تل اسود عن جوانب مهمة في القبور في العراق القديم والمعلومات المتوفرة نتيجة الحفر في المقابر فقدمت لنا معلومات عن طرق الدفن وطقوسه واساليب بناء المقابر واللقى الاثرية المستخرجة من هذه المقابر بجوانب الافكار الدينية لهذه الفترة من الحكم الفرثي للعراق حسب ما كشف عنه في التنقيبات الأثرية في منطقة التل الاسود. وكذلك عثر في اور على مجموعة من المدافن البشرية عرفت فيما بعد باسم المقبرة الملكية وهي ايضا واقعة خارج المعبد ولوحظ ان جسد الميت كان مسجى على ظهره وممدا بشكل كامل وكان الذراعان مطويين قليلا على جانبيه لكي يمكن طيهما عبر الحوض وعلق وولي (Woolley) (ان هذه الوضعية لم يتبناها احد من سكان سومر الاحقيين) كما سجل وولي الحقيقة في (قبرين) كان القسم العلوي من

الجسم مغطى بمسحوق دقيق احمر اللون مما يدعو الى الاعتقاد بان الاجساد كانت مدهونة بهذه المادة ودون أي شك فان المسحوق كان من نفس مادة الدهان في (الكومة) ومن المثير ان نلاحظ ظاهرة مشابهة في مقبرة اريدو كانت العظام مصبوغة بلون برتقالي قاتم وكان نفس اللون ظاهرا على اجسام الكلاب كما ظهر اللون نفسه على قطعة عظام بجانب فم كلب تشمل محتويات هذه القبور مجموعة غريبة من الاواني الفخارية الكاملة وهي تشبه تماما قطع الفخار المعاصرة التي جمعت من سبر المعبد في هذه المرحلة تكتسب اهمية اثرية كبيرة وقد عثر في احد قبور اريدو على رؤوس تماثيل واغطية الرأس من القار ويعتقد انها احد التقاليد الدينية القديمة في الشرق الادنى[٥٩]، ومن خلال التنقيبات ظهرت عدد من القبور التي تعود إلى عصر فجر السلالات وتضم عدد من الخرز كانت تزين جسد المتوفى أو توضع بالقرب من رأسه أو قدميه وكانت طريقة الدفن داخل القبور أما بالشكل المثني القدمين، وبعضها على هيأة جلسة القرفصاء، فضلاً عن عدد من الأواني الفخارية والجرار والكؤوس تعود إلى عصر فجر السلالات كما تم العثور على عدد قليل من الأقراص المغزلية المصنوعة من الطين وفأس مصنوع من البرونز وعلى عربة غير كاملة من الفخار [٦٠] . وكان الاحياء يعنون بأن يهيئوا للميت دفنه مشرفة تختلف باختلاف ثراء الميت وقد تطورت وتبدلت طرق الدفن على مر القرون لفترة الالف الثالثة تقريبا، كان الميت يوضع على ظهره في حوض مستطيل الزوايا من الطوب وتوضع في متناول يده أوزان الطين والبرونز، وفيما بعد تحول الحوض الى مستطيل[٦١] ، وكان البابليون يكفنون موتاهم بالنحاس اما مراسيم الدفن لديهم فكانت واحدة كما هي لدى المصرين القدماء [٦٢] .كان السومريون يلفون الميت مثنيا في حصيرة او قطعة من الكتان فوق ملابسه الاعتيادية وراسه على وسادة ومعه كأس ماء وبعض الحاجات الشخصية ثم يوضع بتابوت من اعواد الصفصاف او بقطعة فخارية كبيرة او في جرتين كبيرتين متقابلتين الفوهة ، وظل الدفن حتى عصر العبيد داخل بيوت السكن وعثر في (تبه كاوره) على قبور من نوع الثولوي بسقوف قبوية واحيانا بغرفة مستطيلة ملحقة بها استخدمت للأغراض طقسية ، وعثر في الطبقة التاسعة على مدافن مسقفة باللبن والحصران والحجر والخشب خزنت فيها بعض قطع الأثاث واللوازم والقبور من النوع البسيط ،ودفنت الجثث في غالبية القبور مثنية واتبعت في مقبرة (الاريجية) طريقة دفن جديدة دفنت فيها أجزاء من الجثة فقط اما الرأس أو الأذرع او السيقان فمفقودة مما يدل على وجود فئة باعتقادات أخروية مختلفة في طريقة دفنها وأقدم مقابر جنوب العراق المعروفة جاءت في عصر العبيد عند موقع في أور ألقيت فيها الجثة على ظهرها والأيدي فوق بعضها عند الحوض وزودت القبور بأدوات ولوازم بسيطة ظنا منهم إن الميت سيستخدمها في حياته الجديدة ،وفي أور أيضا عثر على مدافن تعود لعصر (جمدت نصر) كثرت فيها الأوعية والكؤوس المصنوعة من الرصاص ودفن الميت بصورة جانبية وبيده كوب او قرب

وجهه وعاء وأحنو الظهر بحيث صار الرأس عند الصدر وقرب الحنك من الحوض ، ويتمثل نوع أخر من الدفن في مقبرة أور الملكية التي حوت على غرفة او أكثر مشيدة من الطابوق او الحجر مسقفة بقبب مع حفرة للنذور ، ووضعت في المقبرة أدوات عدة غالية الثمن كحيوانات من الذهب واوان فضية وذهبية وقيثارات وعربات وذبحت الأضاحي البشرية ساعة الدفن ، وطريقة الدفن غريبة قد تعود لجالية أجنبية وربما تدل على ان العراقيين كانت لهم في عصورهم الاولى اعتقادات أخروية مختلفة وكانت غالبية مدافن العصر ما قبل السرجوني في (خفاجي) قبورا بسيطة تحت غطيت بعقادة من الطابوق وجاء الدفن في المقبرة بارض غرف البيوت وبصورة جانبية ملفوفين بالحصران كأنهم نيام وقربهم لوازمهم الضرورية وسحبت الايدي الى مقربة من الفم وبيد كل منهم كوب ، ومن قبور العصر البابلي الحديث بكيش فقد وضع الميت بتابوت طيني او في الارض ولم تكن التوابيت على طول الجثث مما يجعلهم يثنون الاطراق واحيانا كانوا يدفنون الجثة ويغطونها بالتابوت او يدفنون الجثة بالارض [٦٣] . ومن مقابر حقبة الاحتلال الفرثي جاءت التوابيت الطينية المزججة على شكل حذاء ، ولم يمارس العراقيون في الغالب حرق الموتى على الرغم من العثور على اثار حرق في اقدم الطبقات السومرية عند زقورة نفر ،مما جعل البعض يستنتج ان محرقة الأموات لا بد من ان تكون قرب الزقورة وفي مقبرة لكش أشعلت النيران حسب ما يظهر فوق أكوام الطين التي غطت بها حفرة القبر كما نعرف عن دفن الموتى في ساحات المعابد كما أوضحت الطبقات السفلى من معبد نفر وقد أحرقت بعض الجثث من سلالة اور الاولى جزئيا بعد ان وضعت في القبر واقتصر الحرق على الراس والاجزاء القريبة منه وهذه ممارسة غريبة ربما تعود الى اسرى حرب او جماعة وافدة بدين مغاير ،وكما مارسها الاشوريون الحرق[٦٤] .

الخاتمة:

من خلال ما تم عرضة من الدراسة يمكن التوصل الى النتائج الآتية:

١-اعتقاد سكان العراق القديم بظاهرة الموت والحياة ما بعد الموت ومنذ عصور مبكرة، وهذا ما تظهره لنا الآثار المادية الموجودة في المدافن القديمة واثره في العادات الاجتماعية والتقاليد لدى سكان العراق القديم وطرق وأساليب الدفن المتبعة والتي تؤمن للميت كل ما يحتاجه في عالمه السفلي.

٢-تطور طرق وأساليب الدفن لدى العراقيين القدماء ابتداء من الدفن تحت أرضيات دور السكن مروراً بالقبور البسيطة والجرار الفخارية المنفردة والمزدوجة ثم السلالة. مما يتجلى بأوضح صورة له بالقيم الاجتماعية المعطاة لهذه التقاليد والعادات لدى سكان العراق القديم.

٣- تمسك سكان العراق القدامى بتقييد العالم السفلي بضوابط وقوانين وقواعد دينية جاء وصفها من خلال نصوص الأساطير التي امتزج بها العالم الإلهي والعالم البشري مطعمة بإشكال بالشياطين،

بإشكال أسطورية تكشف عن صور مختلفة للعبادة والطقوس الخاصة شعائر وطقوس الموت لدى سكان العراق القديم.

٤- اهتمام العراقيين القدماء بمدافن ومقابر ملوكهم بالشكل والطريقة التي ميزتها عن المقابر العامة وهذا ما يتناسب وقدسيتهم في المجتمع. واستخدمت هذه المقابر جميعها في دفن ملوك وأمراء دولة العراق القديم بالإضافة إلى بعض النبلاء ومن كان على علاقة بالأسر الحاكمة في ذلك الوقت. وتتميز المقابر الملكية باحتوائها على رسومات ونقوش وتوضح العقائد الدينية والمراسم والشعائر في ذلك الوقت. كما أثارت مقابر أور الملكية الدهشة لدى العالم الحديث بما حوته من ظاهرة فريدة من حيث دفن الحاشية وأعوان الملك وكل ما يحتاجه من حاجيات ولوازم مثلث أثمن وأغنى ما عرف من نفائس في العالم القديم.

٥-اختلاف اتجاهات القبور ووضعية الجثة في القبر باختلاف المراحل التاريخية.

الهوامش:

(١) سليمان ، عامر ،العراق في التاريخ القديم، جامعة الموصل، ١٩٩٣ ،ج٢ ، ص ١٣٨

(٢) وولي، سرلينارد، نيش الماضي، ترجمة عزيز العلي العزي، بغداد، ١٩٨٢ ، ص ٥٩

(٣) سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج ٢ .ص ١

(٤) حول القبور وأهم موجوداتها ينظر: حنون، نائل. عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٧٥، ص ٢٤٦- ٢٥٠.

(٥) حنون، ١٩٧٥، ص، ٢٥١.

(٦) المصدر نفسه، ص، ٢٥٢- ٢٥٤.

(٧) لويد، سيتون ، اثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي،ص٩١

(٨) البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم ، ص١٣

(٩) اسماعيل ، حلمي محروس ، الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص١١٣-١١٤

(١٠) بارندر ، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة : امام عبد الفتاح ، مجلة عالم المعرفة ،الكويت ، ١٩٧٨، العدد ١٧٣ ، ص٢٠-٢٢

(١١) روثن، مارغريت، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار؛ ميشال ابي فاضل،ط٢،منشورات عويدات ،بيروت ، ١٩٨٤ ،ص١٤٣

(١٢) بورت ، ل. ديلا، بلاد ما بين الرافدين الحضارتان البابلية والاشورية ، ص١٧١

(١٣) الماجدي ، خزعل، متون سومر (التاريخ، الميثولوجيا، واللاهوت، الطقوس)،ط١، منشورات الاهلية للنشر والتوزيع، عمان ،١٩٩٨، ص٣٣٠

(١٤) الاحمد ،المعتقدات الدينية في العراق القديم ، ص٨٧-٩١

(١٥) س. ن. كريمر، هنا يبدأ التاريخ حول الاصالة في حضارة وادي الرافدين ، ترجمة : ناجية المراني ، منشورات دار الجاحظ ، بغداد ، مجلة الموسوعة الصغيرة ، ١٩٨٠ العدد٧٧ ، ص ٨١-٨٤.

(١٦) حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص٢٩٠ .

(١٧) حنون المصدر نفسه ، ص٢٩٢ .

(١٨) الاحمد ،المصدر السابق ، ص٨٧-٩١.

(١٩) ديورانت ، وول ، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، القاهرة، ١٩٥٦. مج١ ،ص٨١

(٢٠)علي،محمد عبد اللطيف محمد، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م، جامعة الإسكندرية ،١٩٧٧ ،ص٣١

(٢١) حنون، نائل، المدافن والمعابد ، ط١ ، مطبعة دار الخريف للنشر والتوزيع ، دمشق ،٢٠٠٦،ج١ ، ص١٥

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦

(٢٣) الماجدي ، خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ، منشورات دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٧ ، ٣٨-٤٠

(٢٤) خزعل الماجدي، متون سومر ، ص ٣٢٨.

(٢٥) ك.ما تفييف ؛ أ،سازونوف، حضارة مابين النهرين العريقة ، ترجمة : حنا ادم ، مطبعة دار المجد ، ١٩٨٦ ، ص٥٦

(٢٦) مجلة الفنون ، حضارة اور ، العدد ١٠٣-١٠٤ ، ١٩٩٨ ، ص٩-١٠.

(٢٧) باقر، طه، تاريخ العراق القديم ، ط٢ ،بغداد ، ١٩٥٥، ص ٢٧٦؛ وكذلك ينظر: الأحمد، سامي سعيد. المدن الملكية والعسكرية، المدينة والحياة المدينة موسوعة حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٨، ج١ ،ص ١٥١-١٥٢.

(٢٨) دارا الأول، داريوس الأول سميه الفرس بداريوش الكبير هو الملك الأخميني الثالث حكم من ٥٢١ق.م الى ٤٨٦ ق.م صهر سميردس، وابن ويشتاسب، وحفيد أرساميس.) ؛ ك.ما تفييف ؛ أ،سازونوف، حضارة مابين النهرين العريقة، ص١٠١-١٠٢ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص١٧٣

(٣٠) ينظر: رشيد، فوزي، أقدم الكتابات المسمارية المكتشفة في حوض سد حمرين، سلسلة تقارير حمرين(٤)، الموصل، ١٩٨١، ص ٩-١٥.

(٣١) الجبوري، صلاح رميض. القبور وموجوداتها الدفنية في تل سليمة، حفريات سد حمرين، محافظة ديالى ٧٧-١٩٨٠، مجلة سومر، ٩٧-١٩٩٨، العدد.٤٩، ج١،ج٢، ص ١٦-١٧.

(٣٢) الجبوري، صلاح رميض، ص، ١٧-١٨.

(٣٣) خزعل الماجدي ،متون سومر ، ص٣٢٦

(٣٤) البياتي ،عبد الحميد فاضل ، تاريخ الفن العراقي القديم ، منشورات كلية الفنون الجميلة ، بغداد ، ص٣٦

(٣٥) خزعل الماجدي ،متون سومر ، ص٣٢٦

(٣٦) باقر ، تاريخ العراق القديم ، ص٢٦٥

(٣٧) لولير ،اندرو ، بداية ظهور المدن (جريمة في بلاد الرافدين) ، ترجمة : هالة مصطفى، مجلة مهد الحضارات ، بغداد، ٢٠٠٩ ، العدد ٦-٧ ،ص٧٤-٧٥

(٣٨) الاصيل ، ناجي، في مواطن الآثار رحلة الى جنوبي العراق ، بغداد ، ١٩٤٥ ،ص١٨

(٣٩) خزعل الماجدي ،متون سومر ، ص٣٢٦

(٤٠) ك . ما تفييف ؛ أ . سازونوف حضارة مابين النهرين العريقة ، ص٤٨-٤٩

(٤١) لويد، سيتون ، اثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي ، ترجمة : محمد طلب ، مطبعة الشام ،ط١ ، دمشق ، ١٩٩٢ ،ص٦٢-٦٥

(٤٢) حنون ، المدافن والمعابد ، ص١٧

(٤٣) ديورانت ،قصة الحضارة،ص١١٤

(٤٤) حنون ، المدافن والمعابد ، ص٤٦-٤٧

(٤٥) المصدر نفسه ، ص٢٦

(٤٦) الفتيان، احمد مالك ؛ عبد الله ، زهير رجب، ٧سنوات في تل اسود، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٦٣

(٤٧) ٧سنوات في تل اسود، ص٨٣

(٤٨) حنون ، المدافن والمعابد ، حنون ، ص٢٦-٢٧

(٤٩) علي محمد عبد اللطيف ، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الإلف الثالث ق.م ، ص٤٩.

(٥٠) المصدر نفسه ، ص٥٢

(٥١) حنون ، المصدر السابق ، ص٢٨

(٥٢) حنون ، المصدر السابق ، ص٢٨

(٥٣) المصدر نفسه ، ص٨٧

(٥٤) المصدر نفسه ، ص٨٧

(٥٥) علي محمد عبد اللطيف ، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الإلف الثالث ق.م ، ص٥٢.

(٥٦) المصدر نفسه ، ص٩٤.

(٥٧) البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم ، ص٦٦-٦٧.

(٥٨) باقر ، طه ،بابل وبوررسبا ، مديرية الاثار العامة- مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص١٠

(٥٩) لويد، سيتون ، اثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي ، ص٦٢-٦٥

(٦٠) ينظر: يوسف، كريم توما، تقرير عام عن أعمال التنقيبات في تل صبرة، تقرير حقلي، ١٩٧٩، ص ٤.

(٦١) بورت ، ل. ديلا، بلاد ما بين الرافدين الحضارتان البابلية والاشورية ، ترجمة : محرم كمال ، مراجعة عبد المنعم ابو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، ١٩٩٧، ص١٧١

(٦٢) ك ، حضارة مابين النهرين العريقة ، . ص١٠٧

(٦٣) الاحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، المركز الاعلامي للأبحاث ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص٨٧-٩١

(٦٤) الاحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، ص٨٧-٩١

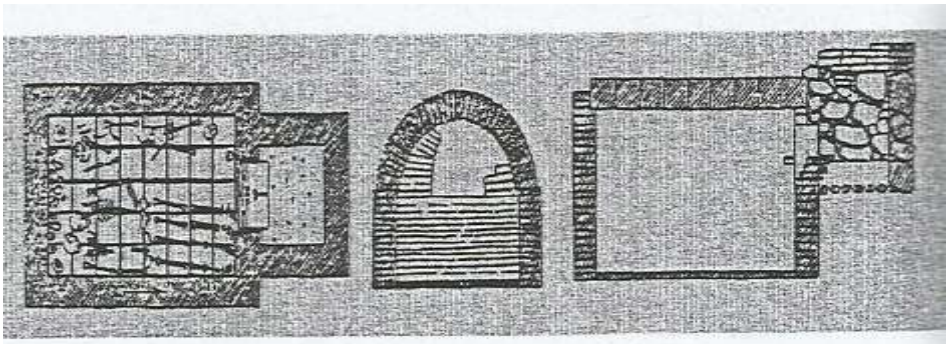

(أ) (ب) (ج)

الشكل رقم (1): رسوم تخطيطية للقبر رقم (34) من آشور

(أ) مقطع طولي (ب) مقطع عرضي (ج) مخطط أرضي

المصدر : حنون ، نائل ، المدافن والمعابد ، ص٢٩

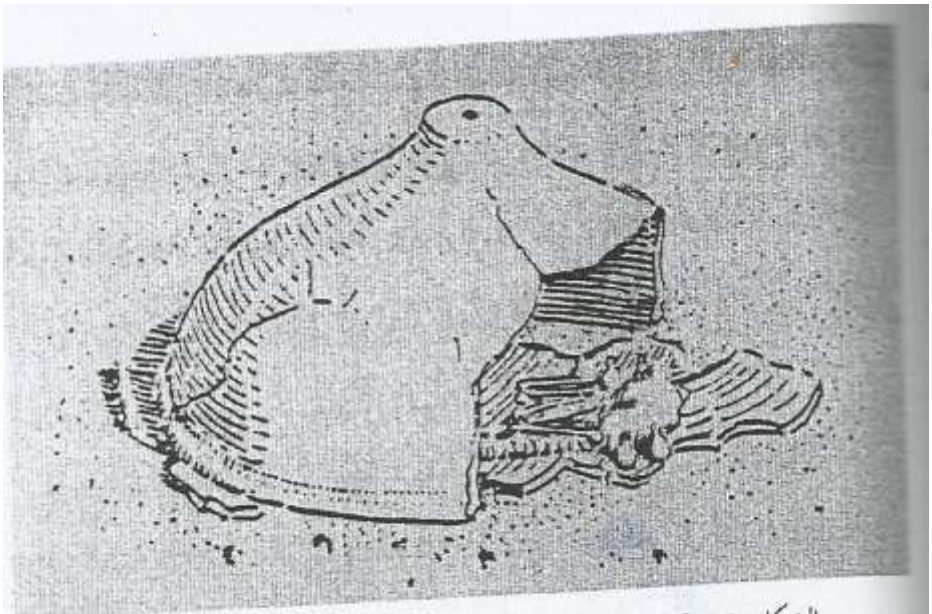

الشكل رقم (2): رسم تخطيطي للقبر رقم (34) ـ بابل، من العصر البابلي الوسيط

المصدر : حنون ، نائل ، المدافن والمعابد ، ص٢٠

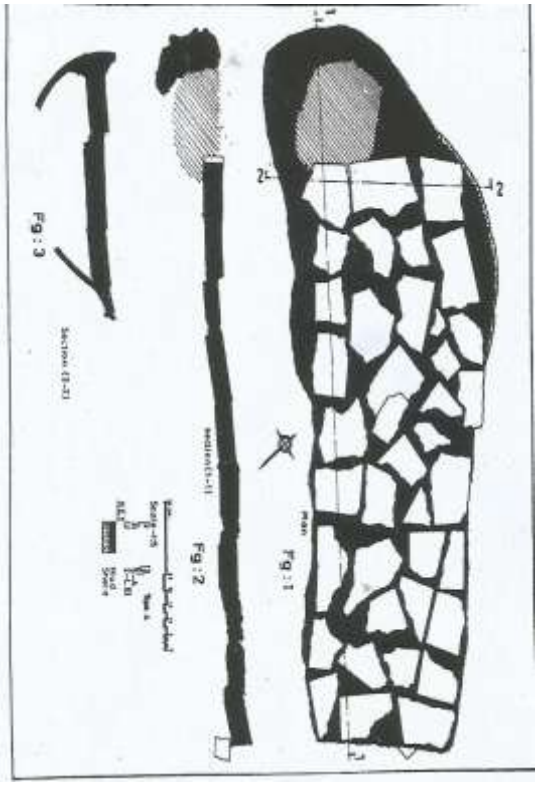

شكل رقم (٣)

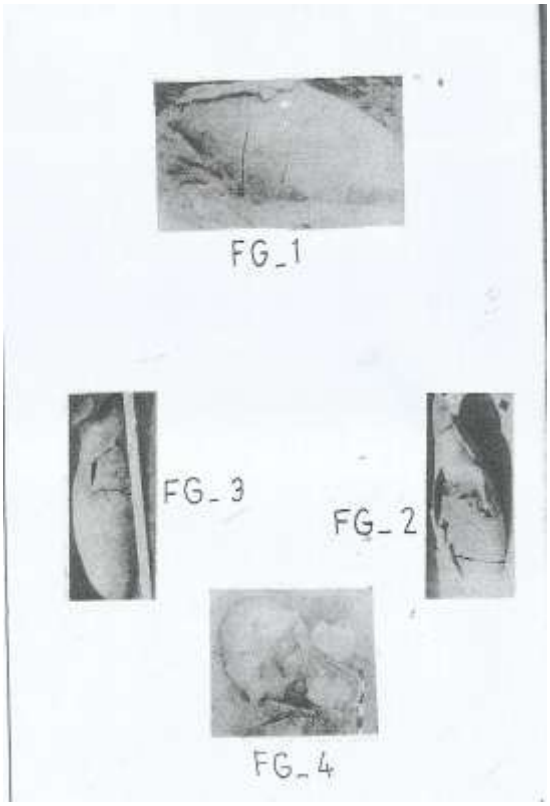

شكل رقم (٤)

علي ،تاريخ العراق القديم حتى نهاية الإلف الثالث ق.م ، ص٢١٥-٢٢٦

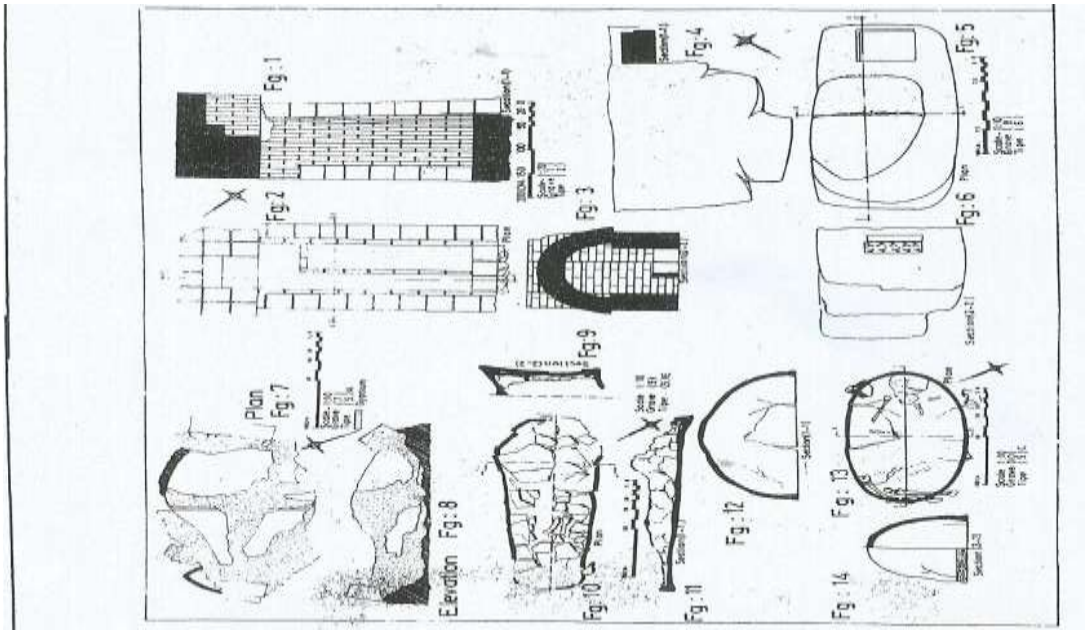

شكل رقم (٥)

علي ،تاريخ العراق القديم حتى نهاية الإلف الثالث ق.م ، ص٢٠٩

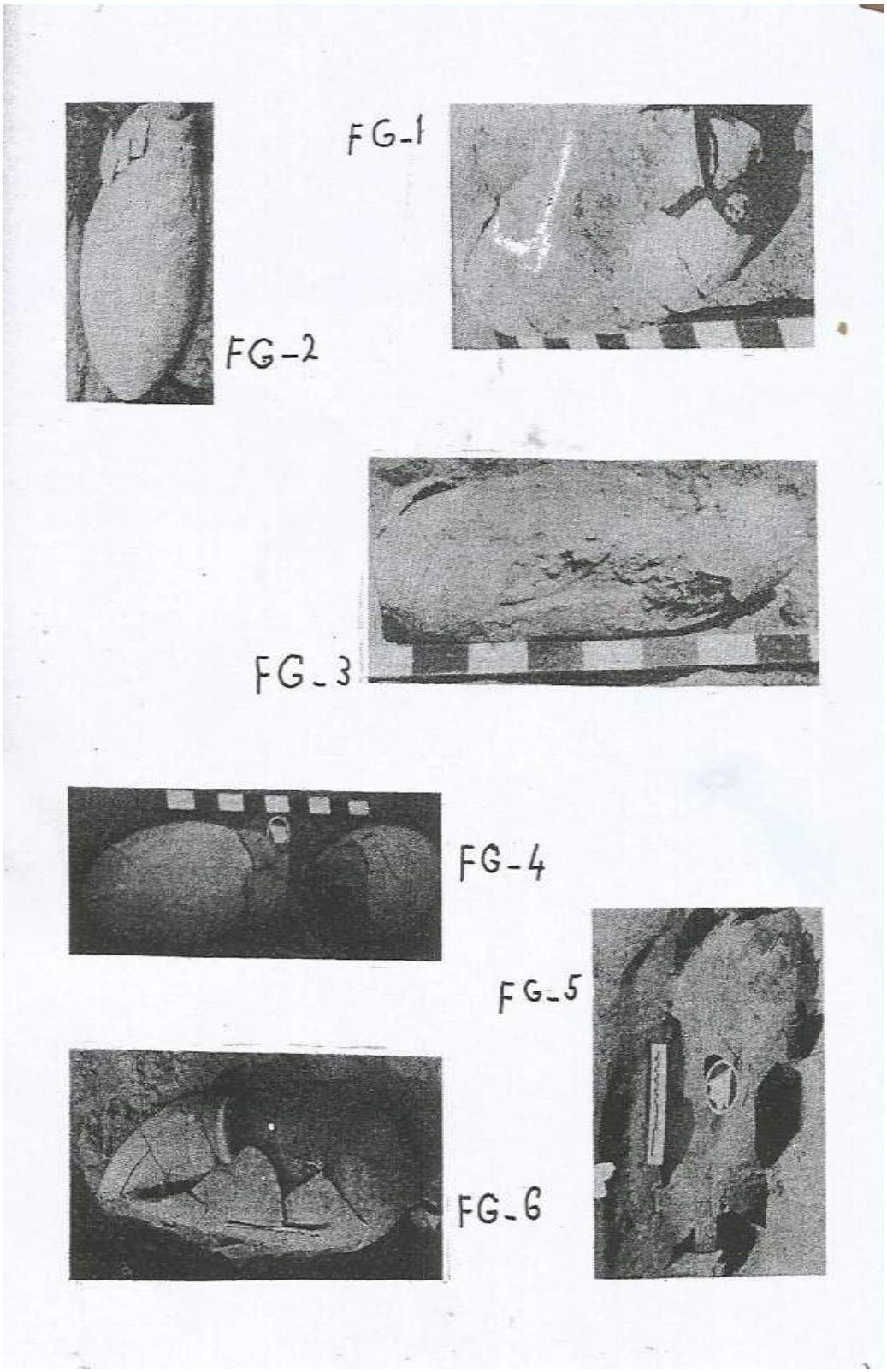

شكل رقم (٦)

علي ،تاريخ العراق القديم حتى نهاية الإلف الثالث ق.م ، ص٢٢٦

Graves in the old Iraq

M .M. Muntaha Nemea O'Dea Hussein
Baghdad University
College of Education, Ibn Rushd Human Sciences

Abstract:

This paper deals with the importance of symbolic death of the ancient civilization of Iraq Under those creed attention was deceased and keeping the body of the deceased from the internal and external factors of the body was their mission in Dead transfer to the underworld or the land of irreversibility and the starting point of this doctrine was to be a ceremony and burial rites processing and put the body in the grave and put materials and tools for the deceased, according to its position in that period he lived and completed this phase funeral ceremonies and rituals, which represents the cause of death and the effect was signed on neighborhoods, and this scene depicts the basic aspects of the faiths after death to the people of ancient Iraq